

وكان للشاعر ما أراد: لقد كان الكرمي واعياً اختياره، مدركاً ما يقوم به، عالماً أن السياحة الكلامية على هامش المجتمع والتاريخ من شأنها أن تجعل الشعر رقيقاً يجزّه النخّاس من أذنه ذليلاً، مهما توشى وتزخرف وتعقد و«تخوجن». وقد استطاع ان يطبّق ما نادى به فلم يحدث تعارض، أو قطيعة، بين النظرية والممارسة عنده على الصعيد الشعري، كما انه حقّق التواصل مع الجمهور، فكان شعره واضحاً بسيطاً يتناول الحدث ويعرضه على الجمهور إبداعاً يفهمه هذا ويتذوقه فيقبل عليه بشغف ولهفة، ومما ينبغي ذكره هنا هو «ان الشعر البسيط المفهوم يمكن ان يتطلّب جهداً على مستوى الادوات التعبيرية أو النقاط الواقع وعكسه أكثر من الشعر المعقد». ويمكن أن نورد مثلاً على تلقي الجمهور لشعر أبي سلمى. ناشد الملوك العرب شعب فلسطين ان يوقف ثورته المشهورة المعروفة باسم ثورة الـ٣٦. معتمدين، في قرارهم هذا، على «حسن نوايا صديقتهم بريطانيا»؛ فأنشأ ابوسلمى قصيدة تناولت الحدث هذا. ولنسمع شهادة تتحدث عن وقع هذه القصيدة لدى الشعب وعن إقباله عليها. يقول غسان كنفاني: «وقد لاقت هذه القصيدة، في ذلك الوقت، شعبية لا مثيل لها، ووزعت على شكل منشورات سرية في كل مكان من الوطن العربي تقريباً. وتولى شعراء اليمن، آنذاك، مثلاً، تشطيرها وتوزيعها في اليمن كشرارة لا بدّ منها للثورة على حكم الامام»^(٢٠). وهذا ما كان يريده الشاعر لشعره أن يصل ويؤثّر: وهو ما كانت تقتضيه المرحلة وطبيعة التجربة.



زيتونة فلسطين: استطاع الكرمي ان يوائم بين مفهومه للشعر وممارسته له فاعطى ما جعله في عداد الخالدين من المبدعين. وقد كان ذلك بسبب التزام الشاعر بقضية وطنه وشعبه التزاماً عبّر عنه بنشاط إبداعي فيه بساطة ذلك الشعب وعمق تربة ذلك الوطن السمراء التي راكمتها، خصيباً، الزنود السمر للأهل الذين شكّلوا أرق الشاعر ووهج إبداعه. وكما يقول يحيى يخلف فإن «جذور أبي سلمى العميقة ضاربة في تربة التجربة الكفاحية، ولذلك استحق عن جدارة لقب زيتونة فلسطين الوارفة، فيها يجري النسج، بها تستمر الحياة الداخلية للثقافة الثورية»^(٢١).

سجل ابداعي وبلورة

منذ الثلاثينات، وحتى آخر يوم من العمر... لم ينقطع العطاء ظللاً حائياً وثماراً فيها الغذاء. وعطاء أبي سلمى، كما يقول يخلف، «يعد من انصع صفحات الكفاح الشريف والشجاع وأكثرها توهجاً في تاريخنا المعاصر». وألحق أنه يبدو، وللإطلاع الأول على ديوان الشاعر، ان هذا العطاء يشكّل مرآة تعكس التاريخ الفلسطيني المعاصر، وتعبير أصح، انه يشكل سجلاً إبداعياً لكل حدثٍ مرّ به تاريخ القضية الفلسطينية. وعلى سبيل المثال نذكر تناوله للأحداث التالية: بيع وادي الحوارث، ثورة جبل النار، بناء قصر المندوب السامي على جبل المكبر، ثورة ١٩٣٦ وتدخّل الملوك العرب لإنهاءها؛ التقسيم... أما الوضعان السياسي والاجتماعي فقد تناولهما في قصائد عدة نذكر منها: شباب، كله استعمار، نور ونار، مؤتمر العمال... وبعد النكبة، قصر شعره على موضوع كاد يكون